﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٧٩﴾

[المائدة: 79]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

بعد ذكر أن اللّعن كان بسبب المعاصي فسّر المعصية والاعتداء

لمّا ذكر أنّ سبب اللّعن الذي وقع عليهم كان لما اقترفوه من المعاصي والاعتداء، فسّر هنا المعصية والاعتداء بقوله: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ﴾ لا ينهى بعضهم بعضًا ﴿عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ﴾[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

عدم التّناهي: لا ينهى بعضهم بعضًا

1) ﴿لَا يَتَنَاهَوۡنَ﴾: (نَهَيَ) أَصلٌ يَدُلُّ عَلَى غَايَةٍ وَبُلُوغٍ. نَهَيْتُهُ عَن الأمر فَانتَهَى فَتِلكَ غَايَةُ مَا كَانَ وَآخِرُهُ[2]، والتّناهي: صيغته التَّفَاعُلُ، بِمَعنَى الِاشتِرَاكِ بين فاعلين، أَي: لَا يَنهَى بَعضُهُم بَعضًا[3] "والمعنى لم يكونوا ينتهون، ولا يتناهون عن القبح الذي أناطوه"[4].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

إخبار وذمّ لما قاموا به من تركهم النّهي ومبادرتهم المعاصي

أخبر تعالى أنّهم لا ينهى بعضهم بعضًا عن المعاصي. وأقسم لبئس الفعل فعلهم في تركهم النّهي عن المعاصي[5]. "وفي هذا النص إشارة إلى أن سبب فساد الأمم في عمومها هو السّكوت على المنكر فيها"[6]. وفيه دليل على وجوب النّهي عن المنكر، وأنّ ترك النهي من الكبائر[7].

(1) الزمخشري، الكشاف: 1/667، والرازي، مفاتيح الغيب: 12/412، والقنّوجي، فتح البيان: 4/31.
(2) ابن فارس، مقاييس اللغة: (نهي).
(3) الواحدي، البسيط: 7/490، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 6/253، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/337.
(4) الراغب، تفسير الراغب: 5/418.
(5) مكي بن أبي طالب، الهداية الى بلوغ النهاية: 3/1821.
(6) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2319.
(7) القاسمي، محاسن التأويل: 4/221.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

الغرض من الاستئناف:

الاستئناف لبيان استمرارهم بالمعاصي

في قوله تعالى: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ﴾ استئناف جاء للإجابة عن سؤال قد يثار من التّعميم في ختام الآية السّابقة، فكأنّه قيل: هل كلّهم كان عاصيًا معتديًا، فالآية فيها "معنى التّفسير للآية السابقة، لأنّه يبيّن عموم العصيان والاعتداء فيهم، لأنّ الاعتداء في الكثير يقع من بعضهم، فكيف ينسب إلى كلّهم"[1]، والسّبب أنّهم تركوا النّهي عن العصيان فكانوا راضين به.

السّرّ في جعل ترك النّهي تفسيرًا للمعصية:

النّهي عن المنكر فرضٌ، وتركه معصية، ودليلٌ على الرّضى بفعلهم فكانوا مشاركين

في قوله جلّ شأنه: ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ﴾ يثار تساؤل مفاده: كيف وقع ترك التّناهي عن المنكر تفسيرًا للمعصية والاعتداء؟ وجوابه: أنّ الله تعالى أمر بالتناهي، فكان الإخلال به معصية[2]، ويدلّ على أمرين: "أنّهم كانوا يفعلون المناكر، والآخر أنّهم كانوا تاركين للنّهي عنها"[3]، فإنّ من ترك النّهي عن المنكر يكون "شريكًا لفاعل المعصية، ومستحقًّا لغضب الله وانتقامه"[4].

علّة إسناد الضّمير إليهم وإنما فعله بعضهم:

لما كان الفاعل من جملتهم وسكت عنه سائرهم أسند الضّمير إليهم جميعًا

قوله ﷻ: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ﴾ أسند انتفاء التّناهي إلى الضّمير العائد إليهم جميعًا، وإن لم يفعله جميعهم؛ لأنّ فاعله من جملتهم[5]؛ فنسب "الفعل إليهم أجمعين؛ إذ وقع من بعضهم، وسكت عنه سائرهم"[6]، فسكوتهم أدخلهم في ذلك التّعميم.

(1) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2319.
(2) الزمخشري، الكشاف: 1/667، والقنّوجي، فتح البيان: 4/31.
(3) ابن المنيّر، الإنصاف: 1/636.
(4) الشوكاني، فتح القدير: 2/76، والقنّوجي، فتح البيان: 4/32.
(5) القنّوجي، فتح البيان: 4/31، والشوكاني، فتح القدير: 2/75.
(6) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2320.

إيثار التّعبير بصيغة التّفاعل:

قوله ﷻ: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوْنَ﴾ عبّر عن تركهم النّهي بصيغة التّفاعل، التي تدلّ على المشاركة في الفعل، إذ كانوا "لَا يَنهَى بَعضُهُم بَعضًا، وَذَلِكَ أَنَّهُم جَمَعُوا بَينَ فِعلِ المُنكَرِ وَالتَّجَاهُرِ بِهِ، وَعَدَمِ النَّهيِ عَنهُ"[1]، وفي هذا إشارة إلى أنّهم كانوا يجاهرون بتلك المعاصي، وجرّأهم على المجاهرة تركهم النّهي عنها.

دلالةٌ على اشتراكهم في الفعل والرّضى بالمنكر من أنفسهم ومن غيرهم

الغرض من تنكير المنكر:

قوله ﷻ: ﴿لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ﴾ جاء لفظ المنكر نكرة "فَيَصلُحُ إِطلَاقُهُ عَلَى أَيِّ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ"[2]، وكونه جاء في سياق النّفي فإنّه يدلّ على الإغراق في عدم المبالاة[3].

جعله نكرة لعدم مبالاتهم بنوع المنكر، فعملوا كلّ المنكرات

وجه توجيه النّهي إلى منكر قد فعلوه:

قوله عزّ شأنه: ﴿عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ﴾ ظاهر النّص أنّه نهيٌ عن فعل قد نجز وصار ماضيًا، ولا يكون النّهي بعد الفعل، فما توجيهه في الآية؟ جوابه: أنّ المقصود هو النّهي عن معاودته، فهو على تقدير مضاف محذوف، أَي: مُعَاوَدَةِ مُنكَرٍ[4]؛ "وإنّما قدّر هذا المضاف لدفع ما أُورِد بأنّ المنكر الذي فُعِلَ لا معنى للنّهي عنه، لأنّ رفع الواقع محالٌ، فأجيب بأنّ المعنى النّهي عن المعاودة"[5]، أو أنّهم لا ينتهون عن منكر فعلوه، بل يصرّون عليه[6].

المراد النّهي عن تكرار الفعل ومعاودته، ورؤية أماراته

السّر في وصف المنكر بأنّهم فعلوه:

في قوله جلّ شأنه: ﴿عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُۚ﴾ جاء وصف المنكر بالجملة الفعلية ﴿فَعَلُوهُۚ﴾ ليدلّ على أنّهم اشتركوا بالفعل إضافة لتركهم

(1) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/337.
(2) أبو حيّان، البحر المحيط: 4/338.
(3) البقاعيّ، نظم الدرر: 6/265.
(4) الرازي، مفاتيح الغيب: 12/412، وأبو حيّان، البحر المحيط: 4/338.
(5) الصّاوي، حاشية الصاوي على الجلالين: 1/281.
(6) النسفي، مدارك التنزيل: 1/467، وابن جزي، التسهيل: 1/240.

النّهي عنه، "ولولا زيادة ﴿فَعَلُوهُۚ﴾ لما صرّح بوقوعها منهم، ولكان المصرّح به ترك النّهي عن المنكر عند استحقاق النّهي وذلك حين الإشراف على تعاطيه، وظهور الأمارات الدّالّة عليه"[1]. فلو لم يقل ﴿فَعَلُوهُۚ﴾ لكان التّوبيخ متّجهًا إلى تركهم النّهي دون التّصريح بمزاولتهم إيّاه.

للنّصّ على أنّهم فعلوا المنكر واشتركوا فيه

الغرض من الذّم:

في قوله تعالى: ﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ جاءت صيغة الذّم لتعبّر عن ذمّ الله تعالى لما عملوا، والمراد منه "التّعجيب من سوء فعلهم"[2]، وبيان قبح أعمالهم[3].

ذمّ فعلهم تقبيحًا له وتعجيبًا منه

دلالة لام القسم:

قوله جلّ شأنه: ﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ اللّام فيه هي اللّام الموطّئة للقسم، فلمّا عجّب من فعلهم بصيغة الذّمّ أكّد ذلك بالقسم، واللّام " كأنّه قيل: أقسم لبئس ما كانوا يفعلون"[4]، فأكّد ﷻ ذمّ أفعالهم، تقويةً لنسبة الذّمّ إليها، وإقصاءً في ذمّها[5].

تأكيد مضمون الجملة

الغرض من ذمّ فعلهم:

قوله جلّ شأنه: ﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ ذمّ أفعالهم على وجه التّأكيد، وإنّما جاء الذّمّ رادعًا لهم عن سوء أفعالهم، رجاءَ إيمانهم[6]، وفيه تحذير لكلّ سامع مِن " ارتكاب مثل الذي ارتكبوه"[7].

ذمّ أفعالهم ليوقظ فيهم وازع الإيمان، وتحذيرًا لغيرهم

إطلاق لفظ الفعل على ترك النّهي:

قوله جلّ شأنه: ﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ المراد بما كانوا

(1) ابن المنيّر، الإنصاف: 1/636.
(2) الزمخشري، الكشاف: 1/667، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 2/139.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/70.
(4) الزمخشري، الكشاف: 1/667، والرازي، مفاتيح الغيب: 12/412، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 2/139.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 6/294، وأبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2320.
(6) أبو زهرة، زهرة التفاسير: 5/2320.
(7) القاسمي، محاسن التأويل: 4/221.

السّكوت على النّهي عن المنكر مشاركة فيه، فهو فعل

يفعلون هو تركهم التّناهي، فأطلق على ترك التّناهي لفظ الفعل مع أنّه ترك؛ لأنّ السّكوت على المنكر لا يخلو من إظهار الرّضا به والمشاركة فيه[1].

إيثار التّعبير بالفعل دون العمل:

آثر التّعبير بالفعل لأنّه ذكر في السّياق لفظ الفعل، فناسبه أن يختم الآية به

قوله جلّ شأنه: ﴿لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ آثر التّعبير بالفعل دون غيره، لأنّه قد جاء في أوّل الآية قوله تعالى: ﴿كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ﴾؛ فلمّا كان السّياق خاصًّا بما فعلوه؛ ناسبه قوله: ﴿يَفۡعَلُونَ﴾.

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 6/294.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد التاسع، سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 9 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-61-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 9 : سورة المائدة من الآية 26 إلى الآية 106.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-61-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-3504784 بتاريخ 2023/03/27م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»